مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن اتبع هديه إلى يوم الدين :

﴿ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ، ربنا ولا تحمل علينا إصرًا كما حملته على الذين من قبلنا ، ربنا ولا تحملنا مالا طاقة لنا به ، واعف عنا ، واغفر لنا ، وارحمنا ، أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين﴾[1] .

سبحانك لا نحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك .

سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا .

سبحانك لا مهدى إلا من هديته ، وأنت تباركت ربنا وتعاليت القائل فى الحديث القدسى :

« يا عبادى كلكم ضال إلا من هديته ، فاستهدونى أهدكم » .

لقد خلقت الخلق ويسرتهم للضرب فى الحياة ، وذللت الكون لهم ، ليمشوا فى مناكبه سعيًا وراء قوتهم المادى ، وتركت لهم اختيار الوسيلة الحلال لذلك .

---

(١) البقرة : ٢٨٦ .

أما الهداية الروحية للفرد وللأسرة وللمجتمع ، فقد أرسلت لهم رسلاً مبشرين ومنذرين يهدونهم فى العقيدة ، وفى الأخلاق ، وفى التشريع ، وفى نظام المجتمع إلى طريق الحق والرشاد : الطريق المعصوم الذى رسمه الحكيم الخبير .

وتوالت الرسل يخلف بعضها بعضًا ، وذلك أن البشر كانت تتغلب عليهم أهواؤهم ونزعاتهم ، فيحيدون عن الرسالة إلى غرائز غلابة ، وأهواء ضالة ..

إلى أن أذنت سبحانك بإرسال ما كان ينقص العالم : الإنسان الكامل .

الإنسان الكامل فى روحانيته ، الإنسان الكامل فى خلقه ، وكان بذلك إنسانًا كاملاً فى مادته التى استجابت إلى الروحانية والأخلاق فكان الإنسان الكامل روحًا ومادة ، وأرسلت معه الكتاب الذى انتهت إليه الكمالات :

أنزلته سبحانك فى ليلة مباركة مصدقًا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنًا عليه ، يهدى للتى هى أقوم ، عزيز ، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، مبارك : ليدبروا آياته وليتذكر أولوا الألباب .

أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير : أحكمت من حكيم ، وفصلت من خبير » .

تنزيل من الرحمن الرحيم ، تنزيل من حكيم حميد ، وإنه لهدى ورحمة للمؤمنين ، هو للذين آمنوا هدى وشفاء مجيد ، فى لوح محفوظ .

ويقول عنه رسول الله ﷺ : فيما رواه الترمذى عن سيدنا على رضى الله عنه :

« ستكون فتن كقطع الليل المظلم ، قلت يا رسول الله ، وما المخرج منها ؟ قال :

كتاب الله مبارك تعالى ، فيه نبأ من قبلكم ، وخبر ما بعدكم ، وحكم ما بينكم ، هو الفصل ليس بالهزل ، من تركه من جبار قصمه الله ، ومن ابتغى الهدى فى غيره أضله الله ، هو حبل الله المتين ، ونوره المبين ، والذكر الحكيم ، وهو الصراط المستقيم ، وهو الذى لا تزيع به الأهواء ، ولا تلتبس به الألسنة ، ولا تتشعب معه الآراء ، ولا تشبع منه العلماء ، ولا يمله الأتقياء ، ولا يخلق على كثرة الرد ، ولا تنقضى عجائبه ، وهو الذى لم تنته الجن إذ سمعته أن قالوا : إنا سمعنا قرآنًا عجبًا ، من علم علمه سبق ، ومن قال به صدق ، ومن حكم به عدل ، ومن عمل به أجر ، ومن دعا إليه هدى إلى صراط مستقيم » .

والمسلمون يؤمنون بذلك ، ويؤمنون بقوله تعالى :

﴿فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ، ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجًا مما قضيت ، ويسلموا تسليمًا﴾ (١) .

ويؤمنون بقوله تعالى :

﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله ، فأولئك هم الكافرون﴾(٢) .

﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله ، فأولئك هم الظالمون﴾(٣) .

---

(١) النساء : ٦٥ .
(٢) المائدة : ٤٤ .
(٣) المائدة : ٤٥ .

﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله ، فأولئك هم الفاسقون﴾[1] .

ومع ذلك فإن إيمانهم هنا كان كلامًا ، مجرد كلام ، لم يطبقوه فى حياتهم ، ولم يأخذوا به فى سلوكهم ، مع علمهم أن المسلمين حينما استمسكوا به سادوا ، وحينما طبقوه دانت لهم الدنيا :

تسير سحابة فوق رأس الخليفة فيقول لها :

سيرى أنى شئت ، وأمطرى حيث شئت ، فسيأتينى خراجك .

ولكن الغرب نجح فى أن يجعل بين المسلمين والقرآن حجابًا من الثقافة الغربية : الثقافة الفكرية البشرية ، الثقافة التى تتغير وتتبدل فى كل حين .

الثقافة التى تخطئ نفسها فى كل عام ، والتى تخترع اليوم ما ترفضه فى الغد ، وتعود فى الغد إلى ما رفضه بالأمس ، وتضفى عليه ثوبًا من الجدة المزيفة ليبلى بعد لحظات .

وما من شك فى أن كل من يقرأ تاريخ الثقافة الغربية منذ سقراط وأفلاطون وأرسطو إلى الآن يجد الأمر كما وصفنا .

ويجد أن هذه الثقافة باعتبار أساسها ، وباعتبار موضوعها تسير بالإنسانية نحو الهاوية .

إن أساس ثقافة الغرب لا يتسم بالأخلاق ، ولا يتسم بطابع الفضيلة ، وإنما يدرس الأخلاق على أنها عادات ، والفضيلة على أنها اصطلاح

---

(١) المائدة : ٤٧ .

اجتماعى ، ومن هنا كانت ثمار ذلك الانحدار الجارف نحو التحلل من كل القيم الأخلاقية ، ومن مكارم الأخلاق .

ومن وراء كل ذلك اليهود ، تشكيكًا فى العقائد ، وتشكيكًا فى القيم الأخلاقية ، وإشادة بالكثير من الرذائل : يتمسحون فى « الحرية » وكأنها المبرر السحرى الذى يشفع لكل انحراف .

واليهود حينما يسيرون بالبشرية نحو الانحدار ، إنما يسيرون حسب منهج مخطط محكم ، وهو النزول بالإنسانية إلى مستوى يجعلها لا قيمة لها ..

وحينئذ يسود اليهود ، ويملكون ويسيطرون .

ولقد استجاب الغرب لليهود وهو الآن فى طريق الانحدار : خمر ، ونساء ، وفضائح ، وقنابل ذرية ، ووابل من الميكروبات والأوبئة : مكدس مخزون للاستعمال حينما تفقد البشرية رشدها ، وتقوم الحروب المدمرة ، والعياذ بالله .

لقد استجاب الغرب لمكر اليهود وخداعهم ، وأخذ فى الانحدار .

ولقد فلسف الغرب الأساس الذى يقوم عليه الانحدار :

وعنون الفكر اليهودى الأسس المزيفة لهذا الانحدار فى كلمات : الحرية ، والعلم للعلم ، الأدب للأدب .

وتحت شعار الحرية يمكنك أن تقول ما شئت ، وأن تفعل ما شئت ، خصوصًا فى العرى والجنس .

وتحت شعار العلم للعلم لا يكون من شأن العلم أن يسير لأهداف من الفضيلة ، وتحت شعار الأدب للأدب ، تكون الإشادة بكل ما يتنافى مع الأخلاق : مباحة ، ما دامت فى ثوب الأدب وتحت شعار الأدب للأدب ، ومن ذلك الأدب المكشوف ، ومسرحيات الترفيه ، على أى وضع ، وفى أية صورة .

لقد استجاب الغرب للخبث اليهودى ، وإذا كان الغرب يستمتع الآن بالقوة والسيطرة فإن ثقافته النظرية الحالية تحمل فى نفسها عوامل الفناء .

* * *

ونحن فى عالمنا الإسلامى مازلنا نقاوم ، وإذا كان الغرب قد فقد الشعور بالضمير الأخلاقى فى عالم الجنس والعرى والمرأة ، فمازال المسلمون يشعرون بأن ذلك رذيلة .

بيد أن مقاومة التيار اليهودى فى عالمنا الإسلامى ليس من السهولة بمكان ، ولا مناص من تكاتف العاملين للخير ، المناهضين للإلحاد ، القائمين فى وجه الرذيلة حتى يتمكنوا من صد التيار – إذا قدر لهم ذلك – الذى يأتى فى صورة الأفلام الخليعة والمسرحيات الماجنة وعن طريق الإذاعة ، وعن طريق التليفزيون ، وعن طريق كتب الجنس ، وعن طريق المجلات التى تصدر خصيصًا للدعوة للرذيلة بأموال اليهود ، وبأقلام اليهود سافرة أو مستخفية .

لابد من أن يكاتف العاملون للخير ، لابد من تكاتفهم حتى ولو لم يكن الأمل كبيرًا فى ثمرة مجهودهم .

فلقد سبقهم فى مجال الهداية قوم تحدث عنهم القرآن ، وأبان أنهم لم ييأسوا من هداية الآخرين مع علمهم بأن الله مهلكهم ... وعسى ... وعسى ... أن يتقوا ، يقول سبحانه :

﴿وإذ قالت أمة منهم لم تعظون قومًا الله مهلكهم أو معذبهم عذابًا شديدًا .

قالوا : معذرة إلى ربكم ولعلهم يتقون .

فلما نسوا ما ذكروا به ، أنجينا الذين ينهون عن السوء ، وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس بما كانوا يفسقون﴾[1] .

وفى هذه الآيات الكريمة يبين الله سبحانه أنه لا يأس فى مجال الدعوة . وأنه سبحانه يكافئ الدعاة بمكافأة كريمة هى : النجاة ، إنه سبحانه يكلؤهم بعنايته فينجيهم من العذاب .

* * *

وهذا الكتاب حلقة جديدة تساهم – مع ما سبق أن كتبنا – فى مقاومة تيار التحلل وتيار الرذيلة .

والشخصية التى كتبنا عنها شخصية من الشخصيات الخالدة : إن سهل بن عبد الله التسترى كان وما يزال ولن يزال مصدر إشعاع روحى بما رسم من :

١ – طريق المعراج إلى الله سبحانه .

٢ – وبنضاله لنصرة أهل السنة .

---

(١) الأعراف : ١٦٤ – ١٦٥ .

٣ – وبما كتبه مؤيدًا طريق الأتباع والاقتداء برسول الله ﷺ .

٤ – ولقد اتصل بالقرآن عن قرب وتأمله فى تدبر فألهمه الله هذه الإشارات النفسية التى استفضنا فى ذكرها فى نهاية هذا الكتاب .

ونرجو الله سبحانه أن يهدى لهذا الكتاب وأن يهدى به ، وأن يشرح له صدورًا ويشرح به صدورًا ، إنه سميع قريب مجيب .

المؤلف